

## قراءة القرآن بالألحان (\*)

أثار هذا الموضوع كتابَ وَرَدَ إلى (الندوة) من الأستاذ أنور حسين مرزوق، القاضي بالمحاكم الوطنية، جاء فيه:

\* ما حكم قراءة القرآن الكريم بالألحان؟ وما حكم تلحينه؟ وما حكم قراءته للتسؤل والشحاذة؟<sup>(١)</sup>

### [ القراءة الشرعية وواقع القراء ]

\* الأستاذ عبد الرحمن الضبع: أعتقد أن أكثر المقرئين للقرآن الكريم الآن لا يقرؤون قراءةً شرعيةً؛ لأنَّ ميلهم إلى التطريب يُخرج القراءة عن شرعيتها.

والقراءة الشرعية. فيما أرى. هي التي تجري على مقتضى قواعد التجويد، وتوضيح المعاني، وتكون بخشوعٍ وخضوعٍ يتناسب مع ما للقرآن الكريم من المنزلة.

ويحدث كثيراً أن أسمع قارئاً يُغَيِّبُ بالقرآن، فأجده قد أدمج بعض الحروف، وأخرج بعضها عمماً يجب أن تكون عليه من قَصْرٍ أو مَدٍّ، رِعَايَةً لِلنَّعْمِ، وهذا في نظري حرام.

\* الأستاذ الشافعي اللبان: الواقع أني كثيراً ما ساءلتُ نفسي وأنا أستمع إلى بعض المقرئين: هل هذه القراءة شرعية أو غير شرعية؟ لأنني كثيراً ما أجد بعضهم يتلو القرآن على صورةٍ هي أشبه بالغناء، تضيع فيها مخارج الألفاظ في أحيان كثيرة.

وإنَّ فرصة السؤال الذي وجَّهه سيادة القاضي إلى (ندوتنا) هي فرصة طيبة نرجو أن نُحَدِّدَ من ورائها ما القراءة الشرعية؟ وما علاقتها بالتجويد؟

### [ أقوال الفقهاء في التغني بالقرآن ]

\* الأستاذ محمد أبو زهرة: أتذكَّرُ أنَّ مجلة (لواء الإسلام) عَرَضَتْ منذ خمس سنوات<sup>(٢)</sup>: لموضوع

---

(\*) في مساء الثلاثاء (١٧) من ذي القعدة سنة (١٣٧٥هـ)، الموافق (٢٦) يونيه سنة (١٩٥٦م) انعقدت ندوة (لواء الإسلام)، بدار (لواء الإسلام)، وقد حضرها الأساتذة: أحمد حمزة، دكتور منصور فهد، دكتور محمد عبد الله دراز، محمود سليمان غنام، محمد الشافعي اللبان، أمين عز العرب، عبد الرحمن الضبع، إسماعيل أبو العزم، صلاح الدين سعد، مصطفى زيد، سليمان العقاد، دكتور محمد حامد موسى، علي خلف الله، محمد سابق.

والأساتذة: محمد أبو زهرة، عبد الوهاب حمودة، محمد توفيق عربة، محمد كامل البنا، محمد علي شتا.

وقد جرى بين الجميع سَمَرٌ علميٌّ في حكم قراءة القرآن الكريم بالألحان، وحكم تلحينه، وحكم قراءته للتسؤل والشحاذة.

(١) لواء الإسلام، العدد الرابع من السنة العاشرة: (١٣٧٥هـ=١٩٥٦م).

(٢) في العدد (١٢) من السنة الأولى، غرّة شعبان: (١٣٦٧هـ)، وفي العدد (١) من السنة الثانية، غرّة رمضان: (١٣٦٧هـ) مقالان للأستاذ محمود عرنوس بعنوان: (قراءة القرآن بالألحان)، وفي العدد (١) من السنة الثانية: (١٣٦٧هـ) مقال للأستاذ عبد الوهاب حمودة بعنوان: (تلاوة القرآن واستماعه).

التغني بالقرآن، وأطنبت فيه القول، وهذا الموضوع تكلم فيه العلماء من أقدم العصور؛ فإنه يُروى أنّ الإمام أحمد بن حنبل كان ينهى عن قراءة القرآن بالألحان، ورُوي مثل ذلك عن الإمام الشافعي، وكذلك عن الإمام مالك.

أما الإمام أبو حنيفة فلم يُزو عنه شيء في هذا، ويظهر أنه لم يكن في عهدٍ قد كُثرت القراءة بالألحان، ولكن يدعي ابن جرير الطبري أنّ التغني بالقرآن قد أقرّه أبو حنيفة والصاحبان: أبو يوسف ومحمد، ثمّ أيضاً نُسب إلى الشافعي أنه قال كذلك به، ولكن هذه النسبة لم تصح عن الشافعي، بل المروي عنه في كتب الشافعية، والذي ذكره الرازي في (مناقبه)، أنه كان ينهى عن القراءة بالألحان<sup>(٣)</sup>.

ولكن لكي نعرف حدود القراءة الواجبة، وحدود القراءة الممنوعة، يجب أن نتصدى لما رُوي في السنّة في هذا الموضوع:

### [ الروايات الواردة في السنة النبويّة في جواز التغني ]

فابن القيم في (زاد المعاد في هدي خير العباد)<sup>(٤)</sup> ذكر أنه قد رُوي في السنة آثارٌ تختلف في ظاهرها، فيُروى عن النبي صلى الله عليه وسلم: أنه أجاز التغني بالقرآن، وأذن أو أمر بالتغني بالقرآن.

ورُوي عنه أنه صلى الله عليه وسلم سمع أبا موسى الأشعري يقرأ في ليلةٍ، فوقف بجوار بيته يستمع إليه، ثم ذكر له في الصباح أنه كان يستمع إليه، فقال أبو موسى: (لو علمتُ لحبّرتُه تحبيراً)<sup>(٥)</sup>، أي: لحسنتُ تلاوته أكثر ممّا سمعت.

---

(٣) بل صحّت عنه. قال الشافعي رحمه الله تعالى: «لا بأس بالقراءة بالألحان وتحسين الصوت بأي وجه ما كان، وأحبُّ إليّ ما يقرأ إليّ حذراً وتحزيناً» كما في «مختصر المزني» ص ٣١١، و«الأم» ٦: ٢١٠، و«مناقب الشافعي»، للبيهقي ١: ٢٨٠.

(٤) زاد المعاد: ١: ٤٨٢.

(٥) روى البخاري (٥٠٤٨)، ومسلم (٧٩٣) واللفظ له، عن أبي بردة، عن أبي موسى الأشعري ﷺ عنه، قال: قال رسول الله ' لأبي موسى: (لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة! لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود). قال الحافظ في (فتح الباري) ٩: ٩٣ وأخرجه أبو يعلى - في مسنده (٧٢٧٩) - من طريق سعيد بن أبي بردة، عن أبيه، بزيادة فيه: أنّ النبي ' وعائشة رضي الله عنها مرّاً بأبي موسى وهو يقرأ في بيته، فقاما يستمعان لقراءته، ثمّ إنّهما مضيا، فلمّا أصبح لقيّ أبا موسى رسول الله ' فقال: (يا أبا موسى، مرّرتُ بك فذكر الحديث، فقال: (أما إني لو علمتُ بمكانك لحبّرتُه لك تحبيراً).

وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد) ٧: ١٧١: (رواه أبو يعلى، وفيه خالد بن نافع الأشعري، وهو ضعيف)، والحديث: - لحبّرتُه لك تحبيراً - رواه بنحوه النسائي في (الكبرى) (٨٠٠٤)، وابن حبان في (صحيحه) (٧١٩٧)، والحاكم في (المستدرک) (٦٠٢٠)، والبيهقي في (السنن الكبرى) ١٠: ٢٣٠، وعبد الرزاق في (المصنف) (٤١٧٨) وغيرهم. والحديث رواه المقدسي في (المختارة) ٥: ٤١ (١٦٥٠) عن أنس ﷺ: أنّ أبا موسى قام ذات ليلة يقرأ القرآن، فقام أزواج النبي ' لقراءته .. الحديث.

وَرُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ٨ قَالَ: (زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ)..<sup>(٦)</sup> إلى آخر ما جاء في هذه الروايات<sup>(٧)</sup>.

## [الروايات الواردة في النبي عن التغني]

ولكن رُوِيَ أيضاً بجوار هذا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (اقْرَأُوا الْقُرْآنَ بِلَحُونِ الْعَرَبِ وَأَصْوَاتِهَا، وَإِيَّاكُمْ وَلُحُونِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَأَهْلِ الْفُسْقِ، فَإِنَّهُ سَيَجِيءُ بَعْدِي أَقْوَامٌ يُرْجِعُونَ الْقُرْآنَ تَرْجِيعَ الْغَنَاءِ لَا يَتَجَاوَزُ حَنَاجِرَهُمْ، مَفْتُونَةٌ قُلُوبِهِمْ، وَقُلُوبٌ مَن يُعْجَبُونَ بِهِمْ)<sup>(٨)</sup>.

وَرُوِيَ أَيْضاً عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ اعْتَبَرَ مِنْ عِلَامَاتِ الْقِيَامَةِ أَنْ يُتَّخَذَ الْقُرْآنُ مَزَامِيرَ، أَيْ: أَغَانِي<sup>(٩)</sup>.

---

(٦) رواه أحمد ٤: ٢٨٣ (١٨٤٩٤)، والبخاريُّ مُعَلِّقاً بصيغة الجزم في كتاب التوحيد، باب قول النبي: (الماهر بالقرآن مع الكرام البررة)، و(زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ) قبل حديث (٧٥٤٤). وأبو داود (١٤٦٣)، والنسائي (١٠١٥)، وابن ماجه (١٣٤٢)، والدارمي (٣٣٧٢) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه. وقال مُحَقِّقُو الْمَسْنَدِ: إسناده صحيح، ويُنظر: (لمحات الأنوار) الأحاديث: [٥٢٨]، [٥٤٨]، [٥٥٠].

(٧) منها قوله<sup>٨</sup>: «حَسِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ، فَإِنَّ الصَّوْتِ الْحَسَنَ يَزِيدُ الْقُرْآنَ حُسْنًا» والحديث أخرجه الدارمي (٣٣٧٣)، والحاكم (٢١٢٥)، والبيهقي في «الشعب» (٢١٤١) من طريق صدقة ابن أبي عمران، عن علقمة بن مرثد، عن زاذان أبي عمر، عن البراء، به مرفوعاً. وإسناده حسن، صدقة صدوق لا بأس به.

(٨) أخرجه الطبراني في (الأوسط) (٧٢٢٣) - واللفظ له -، والبيهقي في (شعب الإيمان) (٢٦٤٩)، والديلمي في (مسند الفردوس) (٣٤٢٤)، والحكيم الترمذي في (نوادير الأصول) ٣: ٢٥٥. عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله: (اقْرَأُوا الْقُرْآنَ بِلَحُونِ الْعَرَبِ وَأَصْوَاتِهَا، وَإِيَّاكُمْ وَلِحُونِ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَأَهْلِ الْفُسْقِ، فَإِنَّهُ سَيَجِيءُ بَعْدِي قَوْمٌ يُرْجِعُونَ بِالْقُرْآنِ تَرْجِيعَ الْغَنَاءِ وَالرَّهْبَانِيَّةِ وَالنُّوحِ، لَا يَتَجَاوَزُ حَنَاجِرَهُمْ، مَفْتُونَةٌ قُلُوبِهِمْ، وَقُلُوبٌ مَن يُعْجَبُ بِشَأْنِهِمْ) قال الطبراني: تَفَرَّدَ بِهِ بِقِيَّةٍ. قال الهيثمي في (المجمع) ٧: ١٦٩. (رواه الطبراني في (الأوسط) وفيه راوٍ لم يُسَمَّ - وهو أبو محمد - وبقيَّة أيضاً). أي: بقيَّة بن الوليد فهو يُدَلِّسُ عن الضعفاء، وقد عَنَّ. والخلاصة: أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ إِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ جَدًّا، وَلَا يَصِحُّ، وَلَوْ صَحَّ فَوَجَّهَ الْمَنَعُ إِنَّمَا هُوَ التَّطْرِيبُ. الَّذِي يَقَعُ مَعَهُ اللَّحْنُ وَالخُرُوجُ عَنْ أَحْكَامِ التَّجْوِيدِ وَقَوَاعِدِ التَّلَاوَةِ، كَمَا يُوْحِي إِلَيْهِ ذِكْرُ لِحُونِ الْعَرَبِ. أَمَّا التَّطْرِيبُ مَعَ الْمَحَافِظَةِ عَلَى حَقِّ التَّلَاوَةِ، فَذَلِكَ مِنْ هَذِي النَّبِيِّ ٨ وَأَصْحَابِهِ.

(٩) الحديث الذي يشير إليه العلامة أبو زهرة لفظه عند أحمد في (المسند) ٣: ٤٩٤ (١٦٠٤٠): (بادروا بالموت ستاً: إمرة السُّفْهَاءِ، وَكَثْرَةُ الشَّرْطِ، وَبَيْعُ الْحُكْمِ، وَاسْتِخْفَافٌ بِالْدَمِ، وَقَطِيعَةُ الرَّحْمِ، وَنَشْوَأٌ يَتَّخِذُونَ الْقُرْآنَ مَزَامِيرَ، يُقَدِّمُونَهُ يُغَنِّمَهُمْ، وَإِنْ كَانَ أَقَلَّ مِنْهُمْ فَهَيَّأً، وَمَعْنَى قَوْلِهِ: (بادروا بالموت ستاً)، أي: اطلبوا الموت قبل أن تهجم عليكم هذه الفتن السيئة، ووُردت روايات أخرى لصدر الحديث، منها: (بادروا بالأعمال ستاً) أي: سارعوا إلى التُّرُودِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ قَبْلَ هَذِهِ السِّتِّ.

والحديث صحيحٌ بمجموع طرقه، فقد وَرَدَ مِنْ طَرَفٍ عَنِ ثَلَاثَةِ مِنَ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم، وَهَمَّ عَابِسُ الْغَفَارِيِّ، وَالْحَكَمُ بْنُ عَمْرٍو الْغَفَارِيِّ، وَعُوفُ بْنُ مَالِكٍ.

أما حديث عابِسِ الْغَفَارِيِّ رضي الله عنه، فقد رواه عنه الإمام أحمد في (مسنده) ٣: ٤٩٤ (١٦٠٤٠)، والبرزاز (١٦١٠)، والطبراني في معجميَّهِ (الأوسط) (٦٨٥) و(الكبير) - كما في (مجمع الزوائد) ٥: ٢٤٥ - والإمام أبو عبيد في (فضائل القرآن) ص ٨٠ - ٨١.

وأما حديث الْحَكَمِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه فقد رواه الطبراني في معجمه الكبير - كما في (مجمع الزوائد) ١: ٢٠٦ - ٢٠٧ والحاكم في (المستدرک) (٥٩٢٧).



بالقرآن<sup>(١٢)</sup>. والترنُّم هو قراءته مُتَدَوِّقاً معانيه، مُسْتَثْمِراً ما فيه من أُخَيْلَةٍ جميلة.

### [ النبي عن لحن الأعاجم ]

أما الجزء الممنوع فهو لحن الأعاجم، فكانَّ التَّحْسِينَ المطلوب يجبُ أن يكون في دائرة المخارج العربية في الصَّوْت، ويوضَّح ذلك كلَّ التوضيح ما رُوي عن أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه. وقد تقدَّمت به السنن حتى أدرك وسط العصر الأموي، وكانت الأغاني الفارسية قد دخلت في الغناء العربي. سمع قارئاً يقرأ القرآن بهذه الألحان، فكشف الخرقه عن وجهه، وقال: (ما هكذا كنَّا نقرأ، ما هكذا كنَّا نقرأ!)<sup>(١٣)</sup>.

### [ القراءة بالألحان بدعة في الإسلام ]

إذن فإننا ننتهي. بلا شك. إلى أنَّ القراءة بالألحان بدعة في الإسلام، وأنه إذا كانت قراءة القرآن سنَّةً مُتَّبَعَةً، وأننا نُرتِّله كما وَرَدَ عن النبي صلى الله عليه وسلم، فإنه بلا شك يكون من المُحَرَّم علينا أن نقرأ بهذه الألحان، وأن نُشجِّع على القراءة بها.

وكلُّ أغاني القرآن التي يقرؤها المقرؤون اليوم يمَسُّون هذه الألحان بقدرٍ قريب، أو بقدرٍ بعيد، فمنهم من تكون قراءته غناءً محضاً، ومنهم من تكون قراءته غناءً خالطه تلاوة، ومنهم. وهم قَلَّةٌ. مَنْ تكون قراءته ترتيباً.

وعلينا أن نَضَعَ حدًّا لما أفرط فيه هؤلاء، وهذا الحدُّ ليس بحكومةٍ تتولَّى، ولا ببيان العلماء، وإنما نُبيِّنُه للذين يستأجرونهم بأنهم يستأجرونهم على مُحَرَّم، وأنَّ الذين يُحيون المآتم بقراءة مَنْ يتعابثون بتلاوة كتاب الله إنما يُحيون ذكرى هذا الميِّتِ ببدعةٍ، وبأمرٍ حرَّمه الإسلام، وعلى هؤلاء أن يُعتبروا بأنه لا يجب أن يكون تذكُّرهم لموتاهم بهذه البدعة الضَّالَّة.

\*الأستاذ الشَّافعي اللباني: نفهم من مُقْتَضَى كلام الأستاذ أبو زهرة، أنه لا يجوز السَّماح بترتيل

(١٢) روى البخاري (٧٥٤٤)، ومسلم (٢٣٣ - ٧٩٢) واللفظ له عن أبي هريرة ؓ أنه سمع رسول الله ' يقول: (ما أذن الله لشيء، ما أذن لنبيٍّ حَسَنَ الصوت، يتغنى بالقرآن يجهره). وقال المنذري في (الترغيب والترهيب) (٢١٤٣): (وروى ابن جرير الطبري هذا الحديث بإسناد صحيح، وقال فيه: (ما أذن الله لشيءٍ ما أذن لنبيٍّ حسن الترنُّم بالقرآن).

(١٣) روى ابن أبي شيبة في (المصنف) (٣٠٤٤٧) عن الأعمش: أنَّ رجلاً قرأ عند أنس بن مالك ؓ فطرب فكَرِهَ ذلك أنس. وروى ابن أبي شيبة أيضاً في (المصنف) (٣٠٤٤٨) عن عبيد الله بن أبي بكر: أنَّ زياداً النميري جاء مع القُرَّاء إلى أنس ؓ، فقال له: اقرأ، فرفع صوته، وكان رفيع الصوت، فكشف أنس عن وجهه الخرقه، وكان على وجهه خرقه سوداء، فقال: ما هذا؟! ما هكذا كانوا يفعلون، وكان إذا رأى شيئاً ينكره كشف الخرقه عن وجهه.

وروى الحارث بن أبي أسامة في (مسنده) (٢٣٣) عن عبيد الله بن أبي بكر بن أنس قال: جاء زياد إلى أنس، فقال له: اقرأ، فقرأ: فرفع صوته، فرفع أنس الخرقه عن وجهه، وكانت على وجهه خرقه سوداء، فقال أنس: ما هكذا يصنعون. فقال حماد: حدَّثني من شهد الحسن، قال: رفع إنسان صوته بالقرآن عند الحسن، فرفع كفاً من حصباء، فضرب وجهه، وقال: ما هذا؟! قال البوصيري في (إتحاف الخيرة المهرة) (٢٣٦٣): (رواه الحارث بن أبي أسامة، ورجاله ثقات).

القرآن بهذه الصُّورة، وفي ذلك الإطار المباح، إلا لمن يفهم القرآن فهماً جيداً.

### [ تصوير القارئ للمعاني الإجمالية ]

\*الأستاذ محمد أبو زهرة: الواقع أنَّ هذا الجزء، وهو تصوير المعاني بالصورة تصويراً لا يدخله الغناء، هذا لا يستلزم أن يكون القارئ على علم بدقائق القرآن، ولا بمعانيه التفصيلية، بل يكفي أن يعلم معنى الجُمْل الإجمالية، فيعرف أنَّ هذه الآية للتهديد أو للتخويف، وتلك الآية للترغيب، وهذه الآية للدعوة إلى التأمل، وتلك الآية للقصاص، هذه المعاني يسهل تفهيمها للقراء، ولا أعتقد أنَّ الأعراب الذين كانوا يستمعون القرآن في الماضي كانوا أكثر ثقافةً من القراء الآن.

### [ قراءة أبي بكر الصديق وتأثيرها في المشركين ]

\*الأستاذ عبد الرحمن الضَّبَّع: مسألة تحسين الصوت، أعتقد أنَّ المقصود بها هو التلاوة بصوتٍ مقبول بحيث يظهر المعنى، وليس المقصود بها التنغيم مطلقاً.

وأذكرُ أنَّ سيدنا أبا بكر حين أخذ طريقه إلى الحبشة، ثمَّ عاد بجوار ابن الدُّعْنَةَ وردَّ عليه جواره، وقال له: (أنا أرضى بجوار الله)، وأذكر أنه اتَّخذ لنفسه مسجداً أمام داره، وكان يجلس فيه، ويقرأ القرآن بخشوعٍ وخشوع، لا بصوتٍ حسنٍ ولا بتنعيم، وأنَّ كفار قريشٍ خشوا على شبابهم من أن تفتهم قراءة أبي بكر؛ لأنه كان إذا قرأ بكى واستبكى، فطلبوا إليه أن يدخل داره ويغلقها على نفسه، ويقرأ ما يشاء، فأبى ذلك، وكانت تلاوة أبي بكر سبباً في ميْل كثير من شباب قريشٍ إلى الإسلام فأسلموا، وما كانت تلاوته إلا بخشوعٍ وتجويد<sup>(١٤)</sup>.

### [ تحديد علماء التجويد لشروط النغم والألحان ]

\*الأستاذ عبد الوهاب حمُودَة: إنَّ قراءة القرآن بالصَّوت الحَسَن، تستلزم اتِّصال هذا الصَّوت بالألحان؛ لأنَّ كلَّ صوتٍ حَسَنٍ خاضعٌ للنَّغم، ولكن قد حدَّد علماء التجويد موسيقى الألفاظ بالكلام على مخارجها وصفاتها، ثمَّ حدَّدوا المدَّ، فإذا قرئ القرآن في هذه الحدود جاز، وذلك من غير أن تكون للألحان سيطرةٌ على الألفاظ فتخرجها عن أدائها الصحيح، ثمَّ تخرجُ بالسامع أيضاً عن جلال القرآن، وتلهو بأنغام القارئ ولحونه عن التدبُّر في معانيه؛ لأنه عند ذلك يحرمُ أن نصوِّع القرآن في هذه الأصوات، حيث تكون قد بَعُدت عن الأسرار التي من أجلها نزل القرآن. وهي التدبُّر والاستماع والموعظة والاستفادة؛ ولا سيما في

(١٤) روى البخاري (٢٢٩٧) في كتاب (الكفالة)، باب جوار أبي بكر في عهد النبيِّ وعَفْدُه: أنَّ عائشة رضي الله عنها قالت: لم أعقل أبوي قطُّ إلا وهما يدينان الدِّين، ولم يمُرَّ علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ' طَرَفِي النَّهَارِ بَكَرَةً وَعَشِيَّةً، فَلَمَّا ابْتُلِيَ الْمُسْلِمُونَ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ، مُهَاجِرًا قِبَلَ الْحَبَشَةِ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَرْكَ الْغَمَادِ، لَقِيَ ابْنَ الدُّعْنَةَ، وَهُوَ سَيِّدُ الْقَارَةِ، فَقَالَ: أَيْنَ تَرِيدُ يَا بَكْرُ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَخْرَجَنِي قَوْمِي، فَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَسِيحَ فِي الْأَرْضِ، فَأَعْبُدُ رَبِّي، قَالَ ابْنُ الدُّعْنَةَ: إِنَّ مِثْلَكَ لَا يَخْرُجُ، وَلَا يُخْرُجُ، فَإِنَّكَ تَكْسِبُ الْمَعْدُومَ .. وَأَنَا لَكَ جَارٌ، فَارْجِعْ فَاعْبُدْ رَبَّكَ بِبِلَادِكَ .. وَجَاءَ فِيهِ: ثُمَّ بَدَأَ لَأَبِي بَكْرٍ فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِنَاءَ دَارِهِ، وَبَرَزَ فَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ، وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ، فَيَنْقِصُفُ عَلَيْهِ نِسَاءَ الْمُشْرِكِينَ وَأَبْنَاؤَهُمْ، يُعْجِبُونَ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، .. وَجَاءَ فِيهِ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنِّي أَرَدْتُ إِلَيْكَ جَوَارِكَ، وَأَرْضِي بِجَوَارِ اللَّهِ.

هذا العصر الذي كثر فيه اللهو والعبث والطرب، والبُعد عن مواطن الجِدِّ والموعظة.

فيجب إذن أن نرجع بالقرآن إلى ما رواه أئمة التجويد من صفات الحروف وموسيقاها، وما حدّده في المدّ وفي الغنة؛ ولذلك قلّ أن نجد قارئاً عصرياً من قراء القرآن ممّن اشتهروا بحُسْن الصوت، والتلاعب بالنغم، والانتقال بالقرآن من لحنٍ إلى لحنٍ من غير أن يقضي على صحّة أداء الحروف، ومجازرة الحدّ المطلوب، والمبالغة في الغنة، وعلى هذا يمكن أن أقول: إنّ للنغم والألحان شروطاً، إذا لوحظت قضت على ما حدّده العلماء في علم التجويد.

### [ تلاوة آيات الوعد والوعيد ]

أما تلاوة الآيات ذات الرّجر والوعيد بأصواتٍ فيها رهبةٌ وجلجلةٌ، فهو من الممكن؛ لأنّ في الأصوات الموسيقية والأنغام ما تفيد هذه المعاني، كما أنّ فيها من الأصوات اللينة العذبة ما يتلاءم مع آيات التبشير، ووصف الجنة ونعيمها وما إلى ذلك، ولكنّ هذا يتوقّف. كما قال حضرات الزملاء - على فهم القارئ حتماً للمعاني.

وللتجويد كتبٌ قديمة يُسندونها، ويصلون بروايتها إلى الصحابة. وقد رُوي علم التجويد كما رُويت كلُّ علوم الإسلام شفاهاً، ثم دُوّنت.

### [ حفظ القرآن في الصدور والحكمة من نزوله منجماً ]

\*الأستاذ محمد أبو زهرة: القرآن الكريم أراد الله سبحانه وتعالى أن يحفظه في الصدور لا في السطور<sup>(١٥)</sup>؛ لأنّ السطور يعثرها التحريف والتبديل، أما الصدور فلا يعثرها التحريف والتبديل؛ ولذلك نزل القرآن منجماً لكي يحفظه النبي صلى الله عليه وسلم، ويُحفظه للصحابة معه؛ ولذلك يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خذُوا حِذْرَكُمْ فَالِقَاتِ الْكُنُوزِ الْمُنْتَمِلَاتِ الْمُزْمَلِ الْمُنْتَمِلَاتِ الْقِيَامَةِ الْأَسْتَكْلَامِ الْمُرْسَلَاتِ﴾<sup>(١٦)</sup> النبأ من يبيح [الفرقان: ٣٢].

أي: إنّ التعليل بأنه نزل منجماً ليثبت به فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم بالتحفيظ أولاً، وبإتصال الوحي ثانياً، ولكي يضمن ترتيله ليوم القيامة<sup>(١٦)</sup>؛ أي: أنّ من وسائل ترتيل القرآن هو أن يحفظ في

(١٥) لا، بل أراد الله ﷻ حفظه في الصدور والسطور معاً، وإلى ذلك الإشارة بتسميته كتاباً في كثير في الآيات المكيّة والمدنيّة للتأكيد على أهميّة كتابته، ليكون محفوظاً عن التحريف والتبديل، مصوناً عن الزيادة والنقصان.

ومن المعلوم أن أشهر اسمين للقرآن الكريم، هما: القرآن والكتاب، ويُقصد بكلّ منهما الجمع، فالقراءة عبارة عن جمع الحروف في الفم، ثم النطق بها، وهو ما يُسمّى~ بالجمع الصوتي للقرآن. والكتابة: جمع الحروف والكلمات في السطور..

(١٦) تضمّن الجواب عن اعتراض الذين كفروا على تنزيل القرآن منجماً ثلاث حكم:

الحكمة الأولى~: تثبيت فؤاد النبي ' بما يورثه السكينة والطمأنينة تجاه ما يتعرض له من قبل كفّار قومه.

الحكمة الثانية: التمهّل والتأني في الكلام، وذلك بإنزاله في دروس تعليميّة قسماً بعد قسم، مع الاستفادة من الأحداث والمناسبات.





وثانيها: مخالفته المعاني القرآنية.

والضابط الثالث: أن يخرج الأمر إلى غناء أو نوحٍ بعد أن يكون للعظة والاعتبار.

إذا لوحظ تجنُّب هذه الضوابط الثلاثة نقول: إنَّ هذه القراءة جيدة مباحة.

\* الأستاذ أحمد حمزة: هل القراءة التي يتلوها المُقرئون الآن يُراعى فيها تلك الضوابط؟

### **[ انقسام القراءة إلى ثلاثة أقسام ]**

\* الأستاذ محمد أبو زهرة: بتطبيق الكلام السابق الذي ذكره الأساتذة الأجلاء، ننتهي إلى أنَّ القراء الآن ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: مُغنون مُطربون، قراءُهم إثمٌ، والاستماعُ إليهم إثمٌ، وتشجيعهم إثمٌ، ودعوتهم إلى المآثم إثمٌ، وأظنُّني لا أحتاج إلى ذكر أسمائهم.

القسم الثاني: قسمٌ له قراءةٌ حسنةٌ أحياناً، ويخرج إلى التَّطريب والغناء والنَّواح أحياناً كثيرة. وهؤلاء خَلَطُوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، نرجو أن يتوبَ اللهُ عليهم، فإنَّ لم يتوبوا فهم كالصنف الأول، وإن كان لهم خير بمقدار ما يقرؤون من قراءة حسنة.

القسم الثالث: يُرتلون القرآن ترتيلاً، وهؤلاء نادرون، وهم أندر من الكبريت الأحمر، وخاصَّة في الإذاعة وما يُشابهها.

### **[ رجاء إلى الإذاعة المصرية ]**

هل لنا أن نتوجَّه برجاء إلى الإذاعة المصرية، خاصَّة، ويحضر ندوتنا الليلة الأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز، وهو. فيما أعلم. المشرف على هذه الناحية الإذاعيَّة، هل لنا أن نقترح على الإذاعة اختيار بعض المُجيدين من القراء في التلاوة دون ألحان، والذين لقراءتهم أثرٌ صالح في القلوب، وأن يكون هذا الاختيار، ولو على سبيل التجربة لمرة واحدة في كلِّ أسبوع.

### **[ دور لجنة القراء في الإذاعة ]**

\* الدكتور محمد عبد الله دراز: الواقع أنَّ لجنة القراء في الإذاعة، تُعدُّ تقاريرَ عن كلِّ قارئ يخرج بقراءته عن الحدود الجائزة، سواء أكان في التجويد أو في الألحان، وهذه التقارير تُكتب بمقتضاها خطاباتٌ للقارئ الذي يُلاحظ على قراءته شيءٌ من الشُّذوذ، ويُنبَّه عليه ألا يعود، وأكثرهم يفي بما يعد، ولكن أحياناً يتكرَّر المعادة لهذا الشُّذوذ، واللجنة عندئذ تطلب إلى الإدارة توجيه إنذارٍ نهائيٍّ إليهم، وهذه كلُّ مهمة اللجنة، ولسنا ندري عن التنفيذ شيئاً، ولكن أظنُّ أنَّ الإدارة تُرسل هذه الإنذارات.

أودُّ أن أوجِّه سؤالاً إلى الأستاذ حمودة، وهو: هل يمكن مع المحافظة على قواعد التجويد والوقف، الخروجُ إلى ألحانٍ نابية لا تتلاءم مع وقار القرآن وجلال معانيه؟

\* الأستاذ عبد الوهاب حمودة: نعم، هذا مُمكنٌ، وهو ما يحدث كثيراً بين القُرَّاء.

### [ القراءة الشرعية الصحيحة ]

\* الدكتور محمد عبد الله دراز: من هذا الجواب يتبيّن أنه لا بدّ للحكم بأنّ قراءةً ما قراءةً شرعيّة: أن تستوفي فوق محافظتها على قواعد التّجويد، بُعدها عن الألحان النَّابية.

وهذا معناه أنّ كلمة قراءة القرآن بالألحان لا يصحّ أن يُحكم عليها إيجاباً أو سلباً على وجهٍ كُليّ، ولا بدّ من التمييز بين لحنٍ ولحنٍ؛ فالقواعد التجويدية إنما تُحافظ لنا على جوهر القرآن وهيكله، ولكنّ القرآن له صورةٌ التوقيع، وهذه الصُّورة يمكن المحافظة عليها تارةً والخروج عنها تارةً أخرى.

### [ ما الصُّورة القرآنية الصحيحة؟ ]

نحن نعرف أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم كان يُرثّل القرآن ترتيباً حسناً، وكذلك أصحابه الذين تَلَقُّوا عنه القرآن، ولكن ليس عندنا صورةٌ صوتيةٌ لقراءة الرسول<sup>٨</sup> وأصحابه، وقد سمعنا الرسول<sup>٨</sup> يُثني على قراءة أبي موسى الأشعري قائلاً له: (إنك أوتيت زمماراً من مزامير آل داود)<sup>(٢١)</sup> وهذا واضحٌ في أنّ مرجع هذا الثناء هو نَعْمَتُهُ وَلَحْنُهُ ومُوسيقاه، فكيف كان هذا اللحن وهذه الموسيقى التي نالت هذا الثناء؟ والقول إنّ هناك ألحاناً للعرب، وألحاناً للعجم، وأنّ أبا موسى كان يقرأ بألحان العرب، لا يُعطينا أيضاً صورةً واضحةً لتلك الألحان العربية التي كان يقرأ بها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

### [ اللحن الموصل للمعاني القرآنية للنفوس ]

وحيث قد مضى التاريخ، ولم يترك لنا معالمٌ نسترشدُ بها إلى القراءة التي قرأ بها الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فلم يبقَ عندنا فيما أرى إلا معيارٌ واحد، وهو أنّ القراءة التي يُساعد لحنها على توصيل المعاني القرآنية إلى النفوس، ويكون الاتجاه الرئيسي لها هو هذا، نُسمّيها قراءةً شرعيّةً متى حُوِّظَ فيها على القواعد الجوهرية للتجويد والوقف، وهذا المعنى يمكن ملاحظته بسهولة في قراءة القارئ، فالقارئ أحياناً من غير خروجٍ عن قواعد التّجويد يؤدّي الآية بطريقةً نابية تنافي المعنى الذي تضمّنته، فيقرأ آيةً البُشرى بصوتٍ بالك، وآية الإنذار بعكس ذلك.

### [ التغني الحقيقي المعبر عن الوجدان والشعور ]

أريد أن أقول: إنّ القرآن نَزَلَ للعبرة والموعظة، ولكنه مع ذلك نَزَلَ في قالبٍ يتحدّث إلى الوجدان والشُّعور، تقشعرُّ منه الجلود، أو تلين له القلوب؛ ليكون أعوناً على ترسيخ العبارة والموعظة في النفوس، فلا يمتنع أن يتغنّى به القارئ الذي يتأثر بمعانيه تغنياً حقيقياً، أي: يُعبر عن شعورٍ واستمتاع، فيكون

---

(٢١) رواه البخاري (٥٠٤٨)، ومسلم (٧٩٣) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، ولفظ البخاري: أنّ النبيّ قال له: (يا أبا موسى: لقد أُوتيت زمماراً من مزامير آل داود) فشَبّه صوت أبي موسى بأصوات المزامير، والجامع بينهما: الصوت المُطرب الذي يأخذ بمجامع القلوب.

صَدَى لِأَثَرِ الْقُرْآنِ فِي نَفْسِهِ، وَيَكُونُ اللَّحْنُ الْقُرْآنِيُّ مَتَعَةً رُوحِيَّةً إِلَى جَانِبِ أَنَّهُ لِلْعِبْرَةِ وَالْمَوْعِظَةِ.  
فَأَنَا مِنْ مُؤَيِّدِي الْمَوْسِيقَى الْقُرْآنِيَّةِ، فِي حُدُودِ الْمَوْسِيقَى الْقُرْآنِيَّةِ، فَلِلْقُرْآنِ جَمَالٌ وَجَلَالٌ.

### [ المقياس الضابط للقراءة الشرعية المقبولة ]

\* الأستاذ محمد أبو زهرة: أعتقد أنّ فيما ذكره كلُّ أعضاء الندوة ما يفيد الجواب عن سؤال الدكتور دراز؛ فإنني قلت: إنّ المقياس الضابط للقراءة الشرعية المقبولة ما يتوافر فيها ثلاثة شروط:

أولها: الموافقة للتجويد الذي يُصوّر لنا ترتيل النبي صلى الله عليه وسلم .

وثانيها: أن تكون القراءة مُصوِّرةً للمعاني.

وثالثها: أن لا يخرج الأمر عن تلاوة تليق بجلال القرآن إلى تطريب لمجرّد التطريب.

وتلك الضوابط فيها الكفاية، وهذا الكلامُ القيّم الذي ذكره الدكتور دراز قد بيّن لنا فيه معنى التغيّي، من أنّ قارئ القرآن يقرؤه على أنه متعة روحية نفسية له، وأنّ هذه القراءة هي معنى القراءة الشرعية التي قصد إليها النبي الكريم صلى الله عليه وسلم .

**والخلاصة:** اتّفقت النّدوة على أنّه لا بدّ من ملاحظة الوقوف والتجويد الذي يُصوّر الترتيل المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه، وأنه لا بدّ أن تكون تلاوة القارئ مُصوِّرةً للمعاني، مُظهِرةً لها، تُلقِي في رُوع السامع بجلال القرآن ورُوعة معانيه، ولا يتّجه إلى تطريب يجعل السامعين ينتقلون من حُسن الاستماع بالتلاوة والترتيل إلى الصُّراخ والضجيج.

\* \* \*